

مع مهندس ألماني ؟

أثناء زيارة لمعرض فرانكفورت - في أوائل التسعينات - اضطررت للنزول في فندق بمدينة دارمشتات ، وفي الاستقبال وأنا أكتب بياناتي ، إذا بنزير واضح أنه ألماني يسألني بالعربية المكسرة : أنت من مصر ؟ رددت بالإيجاب ، قال : أهلاً وسهلاً ، قلت أهلاً بك ، قال أنا وصلت الآن مثلك ، تمنع أننا - بعد أن نضع حقائبنا في غرفنا ونرتب أمورنا - نتقابل هنا أمام الاستقبال بعد نصف ساعة ، ونخرج للعشاء ، فأجبت به بكل سرور .

خرجنا للعشاء ، واقتراح أن نمشي في الهواء النقي - كان ذلك في أكتوبر ! - من الفندق ، وهو في المدينة الحديثة ، إلى المدينة القديمة ، حيث هناك مطعم مكسيكي شهى الطعام ، فوافقته وبدأنا مشوارنا .

بدأ يتحدث بالإنجليزية ، وحكى أنه عاش في مصر عدة سنوات مع زوجته الفرنسية ، وأنهما يعيشان مصر لكرم أهلها وطيبتهم وروحهم المرحة البشوشة ، وكانت أسعد أوقاتها عندما يتجولان في أحياء القاهرة المختلفة ، ويجلسان في المقاهي يتبادلان الحديث مع الناس ، وكيف كان ترحيب الناس بهما في كل مكان ، حتى أنهم كانوا يدفعون لهما المشاريب . وأظهر إعجابه الشديد بالترابط العائلي في مصر والعاطفة الأسرية .

ثم قال إنه يعمل الآن مهندس في وكالة الفضاء الأوروبية ، ويرأسه فرنسي معتد بنفسه أكثر من اللازم . وهكذا دائما الفرنسيون . ولكنه يتحملة برغم إحساسه بتفوقه على رئيسه ، ومثل ذلك كثير في الهيئات والمنظمات الأوروبية .

ثم تكلم عن ألمانيا وكيف قاست في الحروب . هي وكل أوروبا . وأن ليس للجميع

الآن سوف هدف واحد ، العيش فى سلام .

وتطرق فى الحديث إلى الشرق الأوسط ، وتساءل لماذا لا تحل مشكلة الفلسطينيين بتوطينهم فى البلاد العربية حتى يعيش الجميع فى سلام ؟

قلت : كيف يترك الفلسطينيون أرضهم ويعيشوا فى البلاد العربية ليأتى يهود من مختلف أرجاء العالم من روسيا إلى بولندا إلى غيرها ليعيشوا فى أرض الفلسطينيين ، ثم يعيش الجميع فى سلام ؟ السلام لا يقوم إلا على العدل ، وأعتقد أن الحكماء والمفكرين والفلاسفة قد فرغوا من هذه القضية من زمان .

قال : العالم كله الآن يتطلع إلى السلام ولا يريد وإن يسمح بحروب تعكر هذا السلام .

أجبت : ولكن هاهو العالم الآن يُجيش الجيوش لتحرير الكويت ، برغم أن عدد الكويتيين لا يتجاوز نصف مليون نسمة ، بينما الفلسطينيين المطرودين والمضطهدين داخل بلادهم ملايين .

قال : لماذا لا تحنون حنوناً ، كم مرة حاربنا فرنسا ، وما نحن الآن نعيش معها فى سلام .

قلت : نعم بعد أن أخرجكم الفرنسيون من أرضهم واستردوا حقوقهم .

قال : بل أخذوا أكثر من حقهم ، استولوا على الأكراس واللورين ولو ذهب لتلك المنطقة لو وجدت أهلها ألمان ، يتكلمون لغة قريبة من الألمانية ، ومع هذا فليست هذه مشكلة .

قلت : سواء كانوا ألمان أو فرنسيين ، فهم يعيشون على أرضهم ، ثم إننا لا نطلب للفلسطينيين أكثر من حقهم .

غير صديقى الموضوع .. وأصر على دفع العشاء برغم أنه لم يتعشى معى ، لأنه تناول عشاءه فى الطائرة !